الحوار كوسيلة من وسائل الدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم (معالمه ومجالاته)

د. طاهر محمود محمد يعقوب *

At the present era dialogue is one of most important tools for the difference of the prophetﷺ. In this article we have provided details on the contect of dialogue, its importance, ethics and limitations. The examples are also given from sunnah and seerah of the companions of the prophet so that the prophet is biography could be defended greatly.

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وعلى كل من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن القرآن الكريم كتاب الله تعالى الذي امتاز فيما بين الكتب السماوية بأنه

والبحث يشتمل على المطلبين :

المطلب الأول : تعريف الحوار والمقصود به في البحث, وفيه فقرات تالية :

1 - أهمية الموضوع.

2 - أسباب اختيار الموضوع.

3 - تعريف الحوار لغة واصطلاحا والمراد به في البحث.

4 - إبطال نظرية الخلط.

المطلب الثاني : معالم الحوار, شروطه ومجالاته.

الخاتمة : النتائج والمقترحات.

1- أهمية موضوع الحوار وضرورته والمراد به في البحث:

إن الحوار سواء كان بين فكرين مختلفين أو شخصين متنازعين أو حزبين متخاصمين أو بلدين متحاربين، شيئ إيجابي في الإبلاغ والاقناع له فوائد وآثار في النفوس، ويعتبر وسيلة من أهم وسائل إبداء ما في النفس وإظهار ما يعتقده الإنسان، ويعد الحوار وسلية مهمة من وسائل الدعوة المبنية على الكتاب والسنة، وفيهما أدلة متنوعة على إبراز أهمية الحوار في إبلاغ الحق،وسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم العاطرة

* رئيس قسم الآداب بالجامعة الفيدرالية الأردية، للعلوم والتكنالوجيا بإسلام آباد

دليل عملي على أهميته، وتزاد أهميته في العصر الحاضر- عصر الإبلاغ والإعلام والاتصالات والمواصلات السريعة التي جعلت العالم البشري الواسع كقرية صغيرة وخصوصا إذا كان الحوار لأجل الدفاع عن نبي الرحمة -صلى الله عليه وسلم – نبي الحق والصدق- فصارت أهميته أكبر ومكانته أعظم.

2- أسباب اختيار الموضوع:

وتتكون مما يلي :

1 - إن الاشتغال بموضوع من موضوعات السيرة النبوية من وسائل التقرب إلى الله عز وجل.

2 - استشعار بأن الحوار أسلوب مدلل شرعي ومستند عقلي في الأوساط العلمية والفكرية، والساحات المثقفة وهو وسيلة من أجدى وسائل الدعوة إلى الله .

3 - إثارة الشبهات والاتهمات والمفاهيم الخاطئة المثارة حول نبي الرحمة صلوات الله وسلامه عليه, وضرورة الإسهام في الرد عليها.

3: تعريف الحوار لغة واصطلاحا والمراد به في البحث :

كلمة الحوار تطلق على معاني متعددة ومفاهيم متنوعة منها ،المجادلة والمكالمة والمراجعة والمحادثة والمشاورة والمناظرة مع وجود الفوارق الاصطلاحية بين هذه الكلمات.

جاء في لسان العرب في توضيح كلمة حوار: "تقول : سمعت حويرهما وحوارهما، والمحاورة: المجاوبة، والتحاور التجاوب. وتقول: كلمته فما أحار جوابا، وما رجع إلى حوارا، أي ما رد جوابا، واستحاره استنطقه، وفي حديث علي رضي الله عنه يرجع إليكما ابناكما بحور ما بعثتما به ، أي بجواب ذلك"[1]

وفي التنزيل العزيز في قصة صاحب الجنتين "قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ"[2]، قال ابن كثير رحمه الله : أي يجادله ويخاصمه.

ومن الألفاظ التي استعملت في معنى الحوار أيضا كلمة الجدال ، قال الله تعالى : (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) [3] وقال تعالى في موضع آخر : (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) [4].

قال ابن منظور "وهم يتحاورون أي يتراجعون الكلام، والمحاورة مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة، والمِحُورَةُ من المحاوَرةِ مصدر كالمشُورةِ مِن المشاورةِ". [5].

وقد ورد لفظ الحوار في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع، اثنان منها في صيغة الفعل وهما قوله تعالى، في سورة الكهف : (فقال لصاحبِهِ وهو يحاورهُ أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً) [6]، وقوله تعالى في نفس السورة: (قال له صاحبه وهو يحاورهُ أكفرتَ بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً) [7]، والثالث في صيغة المصدر في قوله تعالى في سورة المجادلة : (قد سمع اللَّه قولَ التي تُجادلك في زوجها وتشتكي إلى اللَّه واللَّه يسمعُ تحاورَكما)[8].

اهتم الإسلام اهتماما كبيراً بالحوار والتشاور والاختلاف والجدل، ووضع أسس التخاطب والتشاور والتحاور، وتبادل أوجه الرأي وإنهاء المنازعات بين الأفراد والجماعات عن طريق التفاوض، فجاء في الحوار بمنهج تحاور وتفاهم وسلام، وليس منهج عصبية وشقاق ولدَدٍ، يتجلى هذا في الرجوع إلى السيرة النبوية، وتاريخ الإسلام، وعهد النبي عليه الصلاة والسلام ، ومعرفة الأسلوب الذي كان ينهجه عليه الصلاة والسلام، في تبليغ الدعوة إلى الأفراد والجماعات والأمم.

قال الدكتور صالح بن حميد : "ويراد بالحوار والجدال في مصطلح الناس: مناقشة بين طرفين أو أطراف ، يُقصد بها تصحيح كلامٍ ، وإظهار حجَّةٍ ، وإثبات حقٍ ، ودفع شبهةٍ وردُّ الفاسد من القول والرأي ...".[9]

إن المقصود بالحوار هنا المكالمة مع غير المسلمين من المستشرقين والمستغربين- من الغرب والشرق – للتعريف برسالة نبي الرحمة – عليه الصلاة والسلام – وإبراز جوانب ومعالم رحمته الشاملة جميع الكون والنقاش معهم لإزالة الشبهات المثارة حول النبي صلى الله عليه وسلم التي تولدت من جهل أو تجاهل أو غفلة أو من حقد وحسد، وعناد وتعصب.

ويقول الدكتور على محمد صالح المتخصص في المقارنة بين الأديان وصاحب كتاب :"الحوار الإبراهيمي في ميزان القرآن: " إن الحوار مع غير المسلمين ولا سيما أهل الكتاب مطلوب ولكن بشرط ألا يكون هدفه إلا إحقاق الحق وإثبات زيف الباطل وأهله، ومع أية جهة كان الحوار فإنه ينبغي أن تقال كلمة الحق في مجلس الحوار بغض النظر عن

العواقب التي سوف تترتب على هذه الكلمة، ويضيف قائلا :إن قوله تعالى (لنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ) [10]، له أهميته في مجال الحوار مع اليهود والنصارى، حيث إن الضابط الذي يحكم الصف المسلم المحاور هو البينات التي حواها كتابهم عن حقيقة اليهود والنصارى، لا ما يروج من أفكار ويزخرف من آراء هادفة إلى تضليل المسلم عن دينه."[11]

وفي كل الأحوال علينا أن ندرك أننا مطالبون بأن نقوم بواجب الدعوة إلى الله على الوجه الصحيح لإيصال رسالة الإسلام إلى جميع البشر من غير مداهنة ولذلك يجب أن ندعو أهل الكتاب وغيرهم إلى كلمة التوحيد وأن نبتعد عن هذه الأفكار المنحرفة والفلسفات الباطلة والمخالفةللدين الإسلامي الصحيح ومنهجه في الدعوة، ومن الواجب على المسلم أن يكون حواره وجداله مع غير المسلمين بالتي هي أحسن، حتى يتمكن من إيصال الناس دعوة خاتم النبيين التي هن مهمة كل مسلم ، ويقول سبحانه تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) [12].

كما لا نعني بالحوار هنا التنازل عن المعتقدات الفطرية الصحيحة التي اتفق عليها جميع شرائع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام و التخلي عن المبادئ الإسلامية السليمة من الإفراط والتفريط، والتعري عن الحقائق التأريخية الثابتة، والوثائق العلمية والفكرية التي تدل على أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب – نبي الرحمة ورسول البشرية جمعاء، صلوات الله وسلامه عليه، وأن الشريعة التي جاء بها ناسخة للشرائع السالفة كلها، ولا نقصد بالحوار تأئيد نظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان وتعضيد بعض المصطلحات المشبوهة المشهورة بالتقريب بين الأديان والوحدة الدينية الإبراهيمية وتوحيد الأديان وغير ذلك من الشعارات البراقة التي روجت لتمبيع الدين وإخفاء الحق قال الله تعالى : (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) [13]، وقال أيضا : (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [14] .

4– إبطال نظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان:

نظرا لخطورة النظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان وترويجها في بعض أوساط المثقفين المسلمين نرى من المناسب أن نشير إلى أهم الأصول الفكرية والضوابط العقدية التي ترفض هذه النظرية الباطلة.

استدل بعض القائلين بهذه النظرية بالنصوص القرآنية التالية:

قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) [15] .

وقال عز وجل : (إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) [16].

وقال سبحانه : (إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيد) [17] .

تفسير هذه الآيات ليس كما فهم هؤلاء،وقد حرف بعض أصحاب الأديان السابقة المنسوخة بمجيء الإسلام، معاني هذه النصوص، وأدلتها عن مواضعها، حيث احتجوا بهذه الآيات الكريمة على حقيتهم وصدقهم، وأنهم مقبولون عند الله وأحباؤه، وأنهم يستحقون بشارة الجنة ونعيمها مع المسلمين، ووجه استشهادهم بالآيات هو : ذكر الله عز وجل إياهم مع المؤمنين، والثناء عليهم بإيمانهم بالله واليوم الآخر، وتقرير أن لهم أجر أعمالهم وثوابها عند ربهم، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

ومع الأسف الشديد قد تأثر بهذا الاستدلال الباطل والفهم المغلوط، طائفة من ضعاف المسلمين المثقفين المختلطين بالكفار والساكنين في ديارهم ، والمشتغلين في أعمالهم ووظائفهم، أو المنهزمين نفسيا أمام حضارتهم البراقة اللامعة في الظاهر والمظلمة الخاوية في الباطن، أو الجاهلين بموقف الإسلام من الشرائع السابقة، فقام كل صنف من هؤلاء بدعوة خطيرة أثيمة ممثلة في: نظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان، أو التقريب بينه وبين الديانات السابقة من اليهودية والنصرانية والمجوسية المحرفة.

ولما تسربت هذه الدعوة الخادعة والفكرة الماكرة إلى أمثال هؤلاء المسلمين فرحوا بها ظنا منهم أن هذه الدعوة تؤدي إلى حل القضايا المختلفة بين الأمم المتعددة في العالم الإنساني.

"حتى بلغت الحال ببعضهم إلى فكرة:طبع القرآن الكريم والتوارة والإنجيل – المحرفين – في غلاف واحد، وحتى بلغ الخلط والدمج مبلغه ببناء مسجد، وكنيسة، ومعبد في محل واحد في رحاب الجامعات، والمطارات، والساحات العامة"[18]

وآل بهم الأمر إلى إنكارهم على من يقول بتكفير أهل الكتاب من اليهود والنصارى تاليا آيات القرآن الكريم الدالة على كفرهم وشركهم. فيا غوثاء للإسلام.

ونسوا أو تناسوا النصوص الصريحة المحكمة المفسرة لتلك الآيات المذكورة والدالة على كون الإسلام ناسخا للأديان السابقة كلها، وأنه لا دين عند الله إلا الإسلام وحده، ولا يقبل غيره أبدا، وأن اليهود والنصارى من ألد الأعداء للمسلين ولن يرضوا عنهم حتى يتبعوا ملتهم وينسلوا من ربقة الإسلام، وأنهم يضرب بهم المثل في البغض والحسد للإسلام وأهله، من تلك النصوص قول الله تعالى : (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) [19] .

وقوله تعالى : (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [20] .

وقوله تعالى :(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) [21] .

وقوله تعالى:(وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ) [22].

وقوله تعالى:(وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ) [23] .

لا يسع الناس اليوم ليكونوا مسلمين مهتدين، ومن أهل السعادة والنجاة في الدنيا والآخرة إلا أن يشهدوا أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتبعوه، فالإيمان بخاتم الرسل وآخر الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم شرط الإسلام، وشرط دخول الجنة قال الله تعال : (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (156) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ

وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (157) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) [24] .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم:" والذى نفس محمد بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أصحاب النار"[25]

فهذه النصوص البينة الواضحة ترفض فكرة الدعوة إلى التقريب بين الأديان وتنبذها نبذا باتا.

إن الدعوة إلى وحدة الأديان ليست دعوة حديثة وليدة اليوم، بل هي فكرة خبيثة لها جذور راسخة في القديم حيث وجدت عند ملاحدة الصوفية الاتحادية كابن سبعين والتلمساني.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : " كان هؤلاء كابن سبعين ونحوه يجعلون أفضل الخلق "المحقق" عندهم ، وهو القائل بالوحدة، وإذا وصل إلى هذا فلا يضره عندهم أن يكون يهوديا أو نصرانيا،بل كان ابن سبعين وابن هود والتلمساني وغيرهم يسوغون اللرجل أن تمسك باليهودية والنصرانية كما يتمسك بالإسلام، ويجعلون هذا طرفا إلى الله بنمزلة مذاهب المسلمين ... و يدخلون مع النصارى بيعهم و يصلون معهم الى الشرق و يشربون معهم و مع اليهود الخمر و يميلون الى دين النصارى أكثر من دين المسلمين لما فيه من اباحة المحظورات و لأنهم أقرب الى الاتحاد والحلول...."[26]

كما وجدت هذه الظاهرة عند التتار.يقول شيخ الإسلام في ذلك:" وكذلك الأكابر من وزرائهم وغيرهم يجعلون دين الإسلام كدين اليهود والنصارى وإن هذه كلها طرق إلى الله بمنزلة المذاهب الأربعة عند المسلمين"[27]

ولا يعزب عن بال أن هذه الفكرة إن وحظيت بقبول من يهود، ونصارى فهم جديرون بذلك، لأنهم لا يستندون إلى شرع منزل مؤبدد، بل دينهم إما باطل محرف، وإما حق منسوخ بالإسلام، أما المسلمون فلا والله، لا يجوز لهم بحال الانتماء إلى هذه الفكرة، لانتمائهم إلى شرع منزل مؤبد كله حق ، وصدق، وعدل، ورحمة.

وليعلم كل مسلم عن حقيقة هذه الدعوة: أنها فلسفية النزعة، سياسة النشأة، إلحادية الغاية تبرز في لياس جديد لأخذ ثأرهم من المسلمين: عقيدة، وأرضا، وملكا، فهي تستهدف الإسلام والمسلمين في :

1 - إيجاد مرحلة التشويش على الإسلام، والبلبلة في المسلمين، وشحنهم بسيل من الشبهات، والشهوات، ليعيش المسلم بين نفس نافرة، ونفس حاضرة.
2 - قصر المد الإسلامي واحتوائه.
3 - تأتي على الإسلام من القواعد، مستهدفة إبرام القضاء على الإسلام واندراسه، ووهن المسلمين ونزع الإيمان من قلوبهم، ووأده.
4 - حل الرابطة الإسلامية بين العالم الإسلامي في شتى بقاعه، لإحلال الأخوة البديلة اللعينة : "أخوة اليهود والنصارى".
5 - كف أقلام المسلمين، وألسنتهم عن تكفير اليهود، والنصارى وغيرهم، ممن كفرهم الله وكفرهم رسوله صلى الله عليه وسلم إن لم يؤمنوا بهذا الإسلام، ويتركوا ما سواه من الأديان.
6 - وتهدف إلى كف المسلمين عن ذروة سنام الإسلام: الجهاد في سبيل الله ، ومنه جهاد الكتابيين، ومقاتلتهم على الإسلام، وفرض الجزية عليهم إن لم يسلموا.[28]

واعلم " أن هذه الدعوة بجذورها وشعاراتها، ومفرداتها هي من أشد ما ابتلي به المسلمون في عصرناهذا ...

وهذه الدعوة الآثمة ، والمكيدة المهولة، قد اجتمعت فيها بلايا التحريف، والانتحال، وفاسد التأويل.

والخلاصة أن دعوة المسلم إلى توحيد دين الإسلام مع غيره من الشرائع والأديان الدائرة بين التحريف والنسخ بشريعة الإسلام:ردة ظاهرة وكفر صريح... وأن الدعوة إلى هذه النظرية:نفاق، ومشاقة، وشقاق، وعمل على إخراج المسلمين من الإسلام. ويجب على أهل الأرض اعتقاد تعدد الشرائع وتنوعها وأن شريعة الإسلام هي خاتمة الشرائع، ناسخة لكل شريعة قبلها، فلا يجوز لبشر من أفراد الخلائق أن يتعبد الله بشريعة غير شريعة الإسلام"[29]

وأما تفسير الآيات المذكورة الصحيح فهو كما قال إمام المفسرين ابن جرير الطبري رحمه الله عند تفسيره لآية البقرة:

".... ولكن معنى إيمان المؤمن في هذا الموضع، ثباته على إيمانه وتركه تبديله. وأما إيمان اليهود والنصارى والصابئين، فالتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به، فمن يؤمن منهم بمحمد، وبما جاء به واليوم الآخر، ويعمل صالحا، فلم يبدل ولم يغير حتى توفي على ذلك، فله ثواب عمله وأجره عند ربه، كما وصف جل ثناؤه".(30)

المطلب الثاني : معالم الحوار, وشروطه ومجالاته.

1. **معالم الحوار في الكتاب والسنة وسير الصحابة(رضي الله عنهم).**
2. **شروط الحوار .**
3. **مجالات الحوار وميادينه.**
4. **أهداف الحوار وفوائده.**

1 - **معالم الحوار في الكتاب والسنة وسير الصحابة.**

الإسلام دين اتخذه الله للبشرية جمعاء ، دعا إلى حسن الخطاب وعنى عناية كبيرة بموضوع الكلام وأسلوب أدائه . لأن الكلام الصادر عن إنسان ما يشير إلى عقله . وطبيعة خلقه ونوع تربيته ولأن لغة الكلام عند المجتمعات هي في الحقيقة لغة السلوك وهي مقياس مستواها العام " حيث يحظى الحوار بعناية هامة في الشريعة الإسلامية وتمت الدعوة و التطبيق له باعتباره مسار جيد من الخطاب ويتجلى ذلك في القرآن الكريم والسنة النبوية, وسير الصحابة رضى الله عنهم .

ومن النصوص القرآنية التي يستدل بها على إبراز أهمية جوانب الحوار المختلفة وأشكال المكالمة المتنوعة قوله تعالى (قلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) (31) .

وقوله تعالى: (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) (32).

وقوله تعالى (وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (32) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا (33) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا(34) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (35) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (36) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (37) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (38) وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا (39) فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (40) أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا(41) وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا) [33]

ومن القصص القرآنية التي تدل على وجود الحوار في الأمم السالفة والأقوام الماضية قصة أصحاب الكهف وقصة موسى عليه السلام مع عبد من عباد الله – خضر– ومكالمته مع فرعون وقصة أصحاب الجنة في سورة القلم، وعرض القرآن لحوار الله مع خلقه بواسطة الرسل عليهم السلام وكذا مع الملائكة وإبليس، رغم أنه يمتلك القوة المطلقة ويكفيه أن يكون له الأمر وعليهم الطاعة كما أن دعوات الرسل كلها كانت مقرونة بالحوار والمكالمة مع أقوامهم،ولم يشجب القرآن في هذا الباب كما شجب موقف رفض الحوار والإصرار على عدم ممارسته قال الله تعالى (وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (7) يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (8) وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) [34].

وقال تعالى (وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ) [35].

وقال تعالى (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (6) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ). [36]

ومن مظاهر الحوار وأساليب المكالمة في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم :

1. حواره صلى الله عليه وسلم مع المشركين من أهل مكة لإثبات صدق نبوته وحقيته والدفاع عن الحق، ومواجهته لاتهاماتهم وافتراءتهم، بالحكمة والموعظة الحسنة ، والمجادلة الحسنة وذلك انطلاقا من قوله تعالى (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) [37].
2. حوارالنبي صلى الله عليه وسلم أنصار المدينة بعد معركة حنين لعتابهم له واعتراضهم عليه على توزيع العطايا على بعض شخصيات قريش بالأسلوب العقلي المقنع.
3. حوار المصطفى صلى الله عليه وسلم مع مشركي مكة عند وقعة صلح الحديبية بالعقل الحكيم والأسلوب الهادئ والهمة العالية.
4. االستخدام النبي صلى الله عليه وسلم أسلوب الحوار في إقناع الشاب الذي طلب السماح والإذن له بالزنا، ونجاحه في إقناعه إياه بالتزام العفة والكراهة من الفاحشة.
5. حوار النبي صلى الله عليه وسلم مع يهود المدينة واتفاقه معهم على وضع ميثاق المدينة الذي يعتبر أول دستور مكتوب في تاريخ الإنسان والذي تسبب للأمن الداخلي والاستقرار السياسي في تاريخ المدينة.
6. استعمال المصطفى صلى الله عليه وسلم طريق الحوار والمكالمة مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، ومع رؤساء البلاد والقبائل المختلفة للدعوة إلى الله عز وجل.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم مثالاً للمحاور الرائع، تشهد بذلك سيرته العاطرة الحافلة بالدرر الثمينة والجواهر البديعة, ومن أقوال المصطفى صلى الله عليه وسلم في هذا الصدد :

1- "يسّروا ولا تُعَسّروا وبشروا ولا تنفروا"[38] .
2- "الكلمة الطيبة صدقة"[39]
3- "ليس الشديد بالصرعة ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب"[40]
4- "تبسُّمُكَ في وجه أخيك صدقة"[41] .
5- "الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق الناس بها".[42]

6- "إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطيه على العنف، وما لا يعطي على سواه"[43].

وكذلك نجد كثيرا من نماذج مشرقة ومواقف حميدة من سير الصحابة رضي الله عنهم التي تدل على اهتمامهم البالغ والعناية الكبيرة بالحوار في مجالات الدعوة وميادين التربية ومن ذلك حوارهم مع النجاشي عظيم الحبشة، وحوارهم فيما بينهم لاختيار الخليفة الأول للنبي صلى الله عليه وسلم في سقيفة بني ساعدة، ومن الحوارات التاريخية التي كان الأثر البالغ على الأمة الإسلامية في عهد أبي بكر الصديق الحوار الذي دار بين ثلاثة من أجلة الصحابة أبي بكر وعمر بن الخطاب وزيد بن ثابت رضي الله عنهم أجمعين، والذي أقضى بعد المراجعة وحسن الخطاب وقوة الدليل إلى جمع القرآن وتدوينه في مصحف على يد شاب الأمة العاقل زيد بن ثابت رضي الله عنه بعد استشهاد العديد من القراء في حروب الردة، ، وحوار حبر الأمة عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما مع الخوارج من أروع نماذج الحوار لدى الصحابة رضي الله عنهم .

فهذا وذاك كله يدل على أن الحوار لإحقاق الحق وإبطال الباطل وجلب المنفعة ودرء المفسدة أمر مطلوب في الإسلام ولا محيص عنه بحال من الأحوال.

2 –شروط الحوار وضوابطه وآدابه:

لقد أوضح أحد الباحثين الذين عاصروا الحوار الإسلامي المسيحي أنه كي يكون الحوار ناجحا ومفيدا ومؤديا لرسالة لا بد من رعاية الشروط الآتية:

1. تبادل المعلومات والأفكار والحقائق التي تزيد من معرفة كل فريق بدين الفريق الآخر وتاريخه وحضارته ... توضيحا لحيين على التلاقي على مواطن الاتفاق أو الاتفاق بطريقة مخلصة وموضوعية.
2. البعد عن التلفيق الديني بين أحكام الدينين سواء كان ذلك التلفيق صريحا أو رمزيا.
3. العناية بحسن اختيار المتحاور بأن يكون متخصصا في الموضوع ليكون قادرا على التعبير الصحيح.

4. حسن اختيار مواضيع الحوار والبعد ما أمكن عن حساسيات الفكر اللاهوتي الكلامي القديم حفلت به كتب الملل والنحل.
5. اختيار الموضوعات الحية مثل وضع الأقليات سواء كانت مسيحية أو مسلمة في كلا المجتمعين الإسلامي والمسيحي وتبيين الحقوق والواجبات التي يعطيها كل دين للآخر.(44)

نموذج رائع من السيرة النبوية :

جاء فيما يرويه ابن هشام عن ابن إسحاق أن عتبة بن ربيعة وكان سيدا ذا بصيرة ورأى في قومه قال في نادي قريش : يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورًا لعله يقبض بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا ، فقالوا : بلى يا أبا الوليد : قم إليه فكلمه ، فجاء عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا ابن أخي .. إنك منا حيث قد علمت من الشرف والعشيرة والمكانة في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم مزقت به جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم ، فاسمع منى أعرض عليك أمورًا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : " قل يا أبا الوليد — أسمع " ، قال : يا ابن أخي : إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت تريد به شرفًا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرًا دونك ، وإن كنت تريد ملكًا ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أفرغت يا أبا الوليد ؟ " قال: نعم ، قال : " فاسمع منى " ، ثم قال : (حم , تَنزِيلٌ مِنْ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ , كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ , بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ)"(45).

أرأيت إلى هذا الموقف وكيف يتضح من خلاله ، قدرة الرسول صلى الله عليه وسلم على الإنصات الفعال ؟! .

حيث أحسن النبي صلى الله عليه وسلم الاستماع الجيد لمن يحاوره " فلم يبادر بقطع حديثه " ولم يبدأ كلامه إلا حين تأكد من فراغ وانتهاء حديث من يحاوره .. حين قال : " أفرغت يا أبا الوليد ! " قال نعم .

وقدم النبي صلى الله عليه وسلم بين حديثه ما يغرى محاوره على أن يفتح قلبه وعقله للاستماع إليه فناداه بكنيته .. حتى يرقق قلبه .. ويقبل على الاستماع إليه ..

كما لم ينشغل الرسول – صلى الله عليه وسلم – أثناء الاستماع بالاتهامات الموجهة لشخصه ..ولم يقاطع المتحدث أثناء هذه التهم بالرد عليها.

كما أن مرونة النبي صلى الله عليه وسلم في تركه أبا الوليد أن يكمل حديثه دون مقاطعة جعلت أبا الوليد يخجل من أن يقاطع النبي صلى الله عليه وسلم .

3 –مجالات الحوار وميادينه :

1. الحوار مع أحبار ورهبان أهل الكتاب (اليهود والنصارى) لبيان مكانة نبينا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم في ضوء الكتب السماوية، قال الله تعالى : (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (81) فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) [46]، وقال تعالى (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [47] .
2. الحوار مع أصحاب الديانات الأخرى لإبراز جوانب نبي الرحمة–عليه الصلاة والسلام– في تقويم معالم الدين وصيانته من الغلو والجفاء وحراسته من الإطراء والتنقيص.
3. الحوار مع أصحاب التيار العلماني لتوضيح ضرورو البشر إلى رسالة الوحي الموافقة للعقل البشري والمنسجمة مع الفطرة الإنسانية السليمة ومعرفة صاحبه– صلى الله عليه وسلم– في منظور إنساني.
4. "من واجبنا كممثلي حضارة إسلامية إنسانية منفتحة على الغير أن نعمل على فتح أبواب الأمل والرجاء للالتقاء على نقاط وجوانب مشتركة مع كل الحضارات والثقافات ونحن نرحب بالحوار مع الجميع، ولكن الحوار يجدي فقط عندما تتوفر الرغبة

الجادة في احترام الآخر والنية الصادقة في البحث عن مساحات التفاهم والالتقاء وما قاله البابا، ومواقف الكنيسة الأوروبية، ومواقف السياسين الغربيين بالعموم لا تدل على الاهتمام بالحوار إطلاقا.

5. إن بالغرب عددا من المفكرين والمثقفين من المتعطفين مع العالم الإسلامي لأسباب فكرية ونفعية متعددة. وهؤلاء المفكرون لا يجدون في الغرب من يساندهم، أو يدعم أعمالهم، أو يساهم في التعريف بها في ظل تنامي موجه الهجوم على الإسلام بدعوى الحرب على الإرهاب ونحن بحاجة إلى جهود هؤلاء في خدمة المشروع الإسلامي ، وفي الدفاع عن نبي الأمة". (48)

6. الحوار مع أصحاب الإعلام الغربي بأنواعه – من المقروء والمسموع والمشاهد– لإيضاح مقام النبوة وإخضاعهم للقوانين الدولية التي تنص على الالتزام باحترام الشخصيات المقدسة.

ولنعلم الحقيقة أن " إن من يهاجمون النبي صلى الله عليه وسلم لا يجهلون من هو، بل يعرفونه حق المعرفة. ألم يخبرنا الحق — سبحانه وتعالى– أنهم يعرفونه كما يعرفون أولادهم؟ وقد اهتمت حضارات العالم بمعرفة أحوال المسلمين، وأخبار نبيهم، وفتوحاتهم لما لهذه الأخبار من آثار على الواقع العالمي منذ انتشر الإسلام.

ورغم أن بعض الحضارات حاربت المسلمين ، إلا أن معظم تلك الحضارت لم تحتفظ بتراث من الكراهية تجاه نبي الإسلام مثلما احتفظت به دويلات أوربا وكنائسها.إن ما حدث في الغرب على مدى الألف عام الماضية من الاحتفاء بكراهية خير خلق الله هو ظاهرة مرضية لم يشارك الغرب فيها أي من الحضارت التي تواجدت خلال الفترة الزمنية نفسها.

فالغرب عبر تاريخه الطويل من المواجهة الفكرية والدينية مع العالم الإسلامي كان دائما يميل إلى الطعن في شخص النبي، وهو ما لم يتغير عبر قرون طويلة من العلاقة مع الغرب ورغم تعدد المدارس الفلسفية والفكرية في الغرب إلا أن هناك قدرا مشتركا وواضحا من المفاهيم الفكرية الأساسية عند ما يتعلق الأمر بالرؤى الفكرية الغربية حول العلاقة مع الحضارات الأخرى، سوف تتعامل هذه الدراسة مع الغرب ككيان

فكري واحد من ناحية المنطلقات الأساسية للحضارة الغربية وعلاقها بالحضارات والأديان الأخرى.

وقد أخبر الله تعالى في كتابه العزيز أن سنته الماضية أن يخرج لكل نبي عدوا من المجرمين، يقاوم دعوة ذلك النبي ويحاربها. وطبيعة تجدد العداء من الغرب تجاه نبي الإسلام نوحي أن هذا العداء يعبر عن قوم من الإجرام الحقيقي في مواجهة أمة الإسلام. إننا نطلب من قادة الغرب أيضا سواء من مفكرين أو علماء دين أو ساسة أو مثقفين، أن يكفوا شرورهم وألسنتهم عن أمتنا إن أرادوا لهذا العالم القليل الباقي من السلام والتعايش"[49]

7. الحوار مع الجماهير الغربية عن طريق استخدام وسائل الإعلام الحديثة لتصحيح المفاهيم الخاطئة والشبهات المثارة حول نبي الرحمة – صلى الله عليه وسلم- بأسلوب علمي مقنع بدافع إقامة الحجة وقطع العذر.

وفي هذا الصدد لا ننسى ما كتبه أحد الباحثين تحت عنوان " الأصول الفكرية لموقف الغرب من النبي صلى الله عليه وسلم " وخلاصته ما يلي :

" لكي ننجح في فهم علاقة الغرب فكريا بنبي الإسلام صلى الله عليه وسلم، فلا بد أن نبتعد قليلا عن المواقف، وندرس المبادئ. تتصادم هذه القناعات الغربية على المستوى الفكري بشدة مع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم كما أن تراكم الحقد والخوف الغربي من الإسلام ومن نبي الإسلام قد ساهم في نشأة العداء بين الطرفين، وليس من المتوقع أن يقل أو ينتهي هذا العداء في القريب. وفي هذا الفصل مجموعة من الأسباب الفكرية التي ساهمت في تكون علاقة العداء بين الغرب وبين نبي الإسلام.

وتتخلص هذه الأسباب في مجموعة من العوامل التي تلخص في التالي :

مركزية التوحيد في مقابل مركزية الإنسان.

بين محمد والمسيح.

الحاجة إلى المعجزات.

تجذر فكرة النبوة الكاذبة.

إعاقة تطور المسيحية والغرب أيضا.

العنصرية الغربية.

العجز عن إيقاف نمو الإسلام.

إهدار قيمة كل مقدس.

فشل تحجيم التأثير السياسي والدولي للإسلام.

الإرهاب وتحجيم عواطف المسلمين.

هوس فكري.

مرآة داكنة لواقع الغرب.

المركزية التاريخية للإسلام.

مشروع مواز للغرب.

إحياء فكرة المواجهة. (50)

8. الحوار مع مفكري الغرب ومثقفيهم لإظهار معالم تعاملهم المتناقض وسلوكهم المتضاد مع المسلمين ونبيه صلوات الله وسلامه عليه.

" تكونت الصورة النمطية عن نبي الإسلام من خلال الموقف الأوبي التاريخي من الإسلام- وقد ساهم المفكرون الأروبيون الدينيون وغيرهم أيض في تحويل الإلام إلى دين كرية بغيض لدى العامة لكي تحتفظ أوربا بابتعادها عن الوقوع تحت سيطرة الدين الإسلامي، وقوته الأخلاقية والفكرية الأسرة.

إن الصورة المشوهة عن الإسلام في الغرب لم تكم بسبب جهل أوروبا به ، ولكنها في الواقع نتيجة معرفة حقيقية بالإسلام غلقت بالحقد والخوف من تنامي تأثير هذا الدين على أوروبا نفسها وعلى العالم أجمع. إن الصورة النمطية عن نبي الإسلام في الغرب هي صورة بشعة وكأنها تمصل إجماعا غريبا حول الموقف من الرسول.

وهناك أربع فئات رئيسة في العلام الغربي تهاجم نبي الإسلام بشك متواصل ومنظم طوال لاأعوام الأخسرة, إنهم رموز عدد من الكنائس الأوروبية والأمريسكة الكبرى، والقادة السياسيون في الكثير من دول أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية، والعديد من وسائل الإعلام الغربية(صحافة، تلفاز، سينما، كت، إعلام إلكتروني.. أبخ)وأخيرا الرموز الفكرية للتنارات العلمانية.

لقد حاولت الكنيسة الأوروبية الكاثوليكية في النصف الثاني من القرن الماضي أن تبدأ مرحلة جديدة من القالقة مع العالم الإسلامي، تقوم على نوع من الاعتراف الضمني بالدين الإسلامي كدين موجو على الساحة العالمية في العقود الماضية، ولكن يبدو أن البابا الحالي قد قرر إعادة تعريف تلك العلاقة مرة أخرى. كما أن العداء للدين جعل رواد حركة التنوير الأوروبية يميلون أيض على التهجم على نبي الإسلا وعلى الإسلام بوصفهما يمثلان دينا وهم يحاربون الأدين برمتها وفي كل أشكالها. كما أن الفكر العلماني الأوروبي استشعر بالخطر من القوة الفكرية للدين الإسلامي، ولذلك استمرت حملة الاستهزاء بنبي الإسلام والسخرية من دعوته بين رموز هذا التيار التنويري-الليبرالي- كما يجب أن يسمي نفسه من أجل ذلك ، من المتوقع أن تستمر حملة الهجوم على النبي.[51]

4- أهداف الحوار وفوائده:

للحوار أهداف عديدة وفوائد متنوعة، إجمالها في ضوء موضوع البحث كما يلي :

أ - إزالة الوهم أن الإسلام دين الجبر والتشدد يخالف الحوار والمكالمة ، وينافي احترام الآخر، وأنه انتشر بالسيف وكيف يصح ذلك والإسلام دين الاختيار والحوار قال الله تعالى :" لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ"[52].

ب - بالحوار يتجلى مقام نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم عند غير المسلمين وبه يزال ما يوصف به نبي الإنسانية من الإرهاب والإكراه والتطرف من قبل الجاهلين أو المتجاهلين عن مقام النبي صلى الله عليه وسلم ، قال الله تعالى : "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ"[53] .

ج - تقديم البينة وإتمام الحجة على المخالف والمتخاصم على وجه البصيرة والحكمة، قال الله تعالى (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [54] .

د - محاولة في تقريب أذهان بني آدم – عليه السلام – إلى كلمة سواء بينهم، وترغيبهم إلى قبول الحق الذي هو أمر مسلّم عند جميع فئات الشرية، يعتبر

الحوار من أحسن الوسائل الموصلة إلى الإقناع وتغيير الاتجاه الذي قد يدفع إلى تعديل السلوك إلى الأفضل، لان الحوار ترويض للنفوس على قبول النقد، واحترام آراء الآخرين... وتتجلى أهميته في دعم النمو النفسي والتخفيف من مشاعر الكبت وتحرير النفس من الصراعات والمشاعر العدائية والمخاوف والقلق، فأهميته تكمن في أنه وسيلة بنائية علاجية تساعد في حل المشكلات .

هـ - تخفيف حدة الشقاق والتفرق بين البشر وترشيد اختلافهم من خلال كشف الحوار عن مواطن الاتفاق ومثارات الاختلاف في جو علمي هادئ ، ويمكن للحوار أن يلعب دوراً حيوياً في خفض الكثير من مثيرات الخلاف والاختلاف. لقد خلق الله سبحانه الكون على أساس الحوار من أجل الفهم والتقارب بين الكائنات والمخلوقات وجعله وسيلة للتواصل على مر الأزمنة لكي يتواصل الفهم البشري ماضياً وحاضراً ومستقبلاً. بل إن الله سبحانه جعل الحوار وسيلة للتواصل بينه عز وجل وبين سائر الكائنات سواء من خلال تعاليمه عبر أنبياءه ورسله عليهم السلام إلى الناس أو من خلال تواصل الكائنات مع رب العزة والجلالة من خلال الدعاء والتسبيح والمناجاة،والقرآن الكريم الذي نزل على نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) هو كلام الله عز وجل إلى البشر يخاطبهم ويدعوهم ويعظهم وينذرهم ويستثير عقولهم وهو درس بليغ لكي نتعلم أهمية الحوار وقيمته في التواصل وتبديد الأوهام والشكوك.

و- ويهدف الحوار إلى إقامة جسور متوازنة ومتكافئة بين الحضارتين الإسلامية والغربية واستبعاد فكرة الهيمنة والتعبية فضلا عن الشعور بالخوف والتصادم.

الخاتمة :نتائج البحث والمقترحات:

أ - إن الحوار شيئ إيجابي ووسيلة مهمة لجلب المنافع ودرء المفاسد، من إيجاد التقريب بين البشر وإزالة الشقاق وسوء التفاهم بينهم.

ب - الحوارات القرآنية والنبوية بأنواعها المتعددة دليل قوي معنوي ومستند تاريخي لبيان أهمية موضوع الحوار في الإسلام.

ج - لا بد من الالتزام بشروط الحوار وضوابطه الشرعية والعقلية ليأتي الحوار بثماره اليانعة وأهدافه المطلوبة من الرجوع إلى الحق وتأييد الصواب ورفض الباطل.

د - لإنجاح عملية الحوار يلزم باستعمال الأسلوب العلمي المؤثر والمستند التاريخي البشري والدليل العقلي الجذّاب.

هـ - وضع مادة مستقلة بعنوان "أدب الحوار ، أو ضوابط الاختلاف" وما أشبه ذلك في المناهج التعليمية والمقررات الدراسية في الجامعات الإسلامية والمؤسسات الفكرية، والمعاهد التربوية، وتدريب الطلاب والباحثين على ذلك نظريا وتطبيقيا، وذلك استعدادا لخوضهم في معارك الحوار في مستقبل حياتهم.

و - إقامة المحاضرات والمؤتمرات والندوات على موضوع جوانب السيرة النبوية النيرة المتعلقة بالعمل الخيري الإنساني من قبل أرباب المؤسسات التعليمية ، والمراكز الدعوية يستدعى فيه أهل العلم المتخصصين في موضوع الحوار، وتقدم دعوة الحضور فيها لجميع فئات البشر من المسلمين وغيرهم، ويفتح فيها مجال الحوار سؤالا وجوابا، او تعليقا وتعقيبا.

ز - دراسة أسباب اتهام الغرب وغيرهم نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم بما لا يليق شأنه، وعوامل كراهيتهم له بأسلوب علمي – عرضا ونقدا- وذلك من باب معرفة الشر للوقاية منه ليس للوقوع فيه.

ويمكن إجمال تلك الأسباب فيما يلي:

1 - الخوف والتحفظ عند غير المسلمين على نشر دعوة الإسلام في الدول الغربية.

2 - الحسد اليهودي التأريخي للإسلام بصفة عامة ولرسوله صلى الله عليه وسلم بصفة خاصة.

3 - عقيدة اليهود في غير اليهودي التي تبيح لهم انتهاك حرمته ودمه وماله بأية وسيلة وبدون أي مبرز.

4 - إثارة الشبه الباطلة من قبل المستشرقين الحاقدين حول السيرة النبوية.

5 - نشر أفكار الأصولية المسيحية والسعي في تنفيذها.

6 - إيجاد الظلم وغصب حقوق الإنسان على المستوى الدولي.

7 - فقدان العدالة الاجتماعية على الساحة العالمية.

8 - الفهم الناقص لدى مراكز التفكير الغربي لمقاصد الشريعة الإسلامية وخصوصا لنظام القصاص والحدود، وما يتعلق بسيرة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه.

9 - ربط ما يحدث في الأرض من فساد وتفجير وعنف بتعاليم نبي الإسلام.

10 - مظاهر التطرف والعنف والتجاوزات الشرعية من قبل بعض السفهاء من المسلمين.

11 - قصور بعض المسلمين في استخدام وسائل الإعلام الحديثة لنشر رسالة نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم الأصلية المبنية على الاعتدال والوسطية.

هذا ما يسر الله لي من كتابة هذا البحث المتواضع، فله الحمد والشكر أولا وآخرا. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الهوامش

[1] - لسان العرب 1403/2

[2] - سورة الكهف ، الآية :37.

[3] - سورة النحل ، الآية :125.

[4] - سورة العنكبوت ، الآية :46.

[5] - لسان العرب 1403/2.

[6] - سورة الكهف ، الآية :34.

[7] - سورة الكهف ، الآية :37.

[8] - سورة المجادلة ، الآية :1.

[9] - انظر: أصول الحوار بحث منشور له في مجلة (لها).

[10] - سورة طه ، الآية :72.

[11] - مجلة الفرقان العدد عدد 556 شوال 1430هـ ، ص : 29.

[12] - سورة آل عمران ، الآية :64.

[13] - سورة آل عمران ، الآية :19.

[14] - سورة آل عمران ، الآية :85.

[15] - سورة البقرة ، الآية :62.

[16] - سورة المائدة ، الآية :69.

[17] - سورة الحج ، الآية :17.

[18] - انظر: الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان، للدكتور بكر بن عبد الله أبو زيد (ص: 12،13). وهذه الرسالة قيمة في موضوعها، وماتعة في نفعها، فراجعها من أولها إلى أخرها.

[19] - سورة آل عمران ، الآية :19.

[20] - سورة آل عمران ، الآية :85.

[21] - سورة المائدة ، الآية :3.

[22] - سورة البقرة ، الآية :109.

[23] - سورة البقرة ، الآية :120.

[24] - سورة الأعراف ، الآيات :156-158.

[25] - أخرجه مسلم في صحيه، كتاب الإيمان ، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس، ونسخ الملل بملته(134/1) ، حديث رقم :(153) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[26] - انظر : الرد على المنطقيين : (ص :282) طبعة لاهور باكستان، ومجموع الفتاوى : (164/14).

[27] - مجموع الفتاوى : (523/28)

[28] - الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان :(36-38) باختصار وتصرف. وانظر – أيضا- كتاب الإيمان لعثمان عبد القادر الصافي : (ص :117).

[29] - المصدر السابق (ص : 44،45،90،91).

[30] - تفسير الطبري : 361/1-362.

[31] - سورة آل عمران ، الآية :64.

[32] - سورة المجادلة ، الآية :1.

[33] - سورة الكهف ، الآيات :35-42.

[34] - سورة الجاثية ، الآيات :7-9.

[35] - سورة فصلت ، الآيات :5.

[36] - سورة لقمان ، الآيات :6-7.

[37] - سورة النحل ، الآية :125.

[38] - أخرجه البخاري، كتاب العلم ، باب كان النبي صلى الله عليه و سلم يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا، رقم الحديث: (68)، ص:38/1.

[39] - أخرجه البخاري، باب طيب الكلام، رقم الحديث: (5676)، ص:2241/5.

[40] - أخرجه البخاري، باب الحذر من الغضب، رقم الحديث: (5763)، ص:2267/5.

[41] - أخرجه الترمذي، باب صنائع المعروف، رقم الحديث: (1956)، ص:229/4.

[42] - أخرجه ابن ماجه، باب الحكمة، رقم الحديث: (4167)، ص:1395/2.

[43] - أخرجه أبوداود، باب في الرفق، رقم الحديث: (4807)، ص:670/2.

[44] -حولية الجامعة الإسلامية العالمية باسلام آباد ، العدد الثالث 1416هـ، ص: 28

[45] - سورة فصلت ، الآيات :1-4، وانظر القصة في السيرة النبوية لابن هشام ص: 313/1-314.

[46] - سورة آل عمران ، الآية :81-82.

[47] - سورة الأعراف ، الآية :175.

[48] - انظر : لماذا يكرهونه؟ الأصول الفكرية لعلاقة الغرب بنبي الإسلام صلى الله عليه وسلم للدكتور باسم خفاجي ص :97.

[49] - المصدر السابق ص :21.

[50] - المصدر السابق ص :85.

[51] - المصدر السابق ص :55.

[52] - سورة آل عمران ، الآية :256.

[53] - سورة آل عمران ، الآية :107.

[54] - سورة يوسف ، الآية :108.